مطرانية ملوى وانصنا والاشمونين

الحياة الاجتماعية

من منظار أرثوذكسى

المتنيح
الأنبا بيمن

مقدمة

إذ قد قدمنا سابقاً إيضاحا عن معالم الروحانية الأرثوذكسية، وسعينا إلى إبراز سماتها على الشخصية ، ثم تكلمنا عن إنطباعاتها على الحياة العائلية .. يلزمنا أن نستكمل هذه الدراسة بإيضاح فاعلية هذه الحياة فى البعد الخارجى الممتد نحو الآخرين المسمى بالحياة الاجتماعية .

ويمكننا أن نحدد هذه الدراسة فى الاجابة على العناصر الآتية :

(١) ما أهمية الآخر فى حياة الأرثوذكسى ؟

(٢) كيف ألمس المسيح الذى فى العالم كله ؟

(٣) ما هى سمات الحس الاجتماعى المسيحى ؟.

(٤) ما هى معايير التعامل مع المؤسسات الإجتماعية ؟ وأنشطتها المختلفه ؟

(٥) ما هى الانحرافات التى قد تهدد النمو الاجتماعى فى حياة المسيحى ؟

إذا كان الفلاسفة قد إختلفوا فى وجهات نظرهم إزاء علاقة الانسان بالآخر .. فالبعض يرى أن وجود الآخر فى حياتنا ضرورة اجتماعية ، وأن الوجود بدون الآخرين سجن انتحارى .. وأن الانسان بدون المجتمع لا يكاد يتميز عن الحيوان لأن المجتمع هو الذى أعطاه الثقافة والحضارة ، بل إن البعض مثل دوركايم يعتبر المجتمع هو الغاية العليا التى تهدف إليها الحياة الأخلاقية بأسرها وأنه لا يمكن أن تكون ثمة أخلاق بدون مجتمع .. وأن المجتمع هو الذى خلع على الفرد الإنسانى ذلك الطابع المقدس وهو الذى أضفى عليه تلك القيمة ، وهو الذى جعل منه أجدر الموجودات بالاحترام وأولاها بالاجلال .. ويضيف ماركس على وجهات النظر هذه رأياً هو أن الإنسان فى صميمه مجموعة من العلاقات الاجتماعية ..

إذا كان هذا رأى المدارس الاجتماعية والمادية، فان هناك فريقاً آخر وهم أصحاب المدرسة الفردية يرون غير هذا تماماً . إنهم يعتبرون الانسان ذئباً لأخيه الانسان .. وأن الرجل العادى هو الذى ينساق وراء القطيع بينما الرجل العظيم (السوبرمان) هو الذى

يهرع إلى الوحدة ويسد أذنيه عن سماع صوت القطيع إذ أنه يعلم في قرارة نفسه أن صوته نداء العبودية يستصرخه أن يبقى عبداً وصوت الوحدة نداء الحرية يستصرخه أن ينطلق .. فالرجل الضعيف -عند هذه المدارس- هو الذي يشعر بحاجته إلى الإجتماع بالناس والإنضمام إلى القطيع والايمان بمعايير السواد الأعظم على حين ينزع الضعفاء نحو الإتحاد والتجمع نرى الأقوياء ينزعون نحو الانفصال والتفرد .. فالرجل القوى عند نيتشه مثلا هو الرجل المتوحد الذي لا يعيش مع الآخر ..

هذه هي بعض آراء المدارس الفلسفية في الحياة الاجتماعية وتفاعل الانسان مع الآخرين .. البعض يرى أنها كل شيء في حياة الانسان، والبعض الآخر يراها القيود التي تكبل حرية الانسان .. فما هو رأى المسيحية الارثوذكسيه إذن ؟

المسيحية ترى أن الآخر ضرورة للانسان من وجهة نظر انطولوجيه (كيانيه) .. فالله عندما خلق آدم لم يرض أن يوجد وحيداً فخلق له حواء معينا نظيره . وكانت الأسرة هي النموذج الذي في قصد الله منذ البدء .. وكان القصد من هذا أن يعيش

الكثيرون فى وحدة واحدة متمتعين بحياة المحبة والألفة ووحدانية القلب ، فالآخر - مسيحياً - هو مجال أساسى للحب والحياة فى النور « من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن فى الظلمة ، من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه »

(١ يو ٢ : ٩ - ١١)

وفى موضع آخر يقول الرسول « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة ومن لا يحب أخاه يبقى فى الموت ، كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس .. ..

(١ يو ٣ : ١٤ ، ١٥)

. فالآخر اذن هو مجال الانسلاخ عن الذات والأنانية والتقوقع وهو مجال البرهان الحقيقى لمحبة الله ، فالانغلاق تجاه الأخوة هو الانغلاق تجاه الله ، وإن لم نحب الآخرين لا نستطيع أن نحب الله .

الآخر في حياة الأرثوذكسي

وإذا كان الآخر هو مجال الحب والإنفتاح فإن التعامل مع الآخر مسيحياً نوع من النسك . فالحياة مع الأخوة تمرين روحي كبير .. إنها تمرين يغيرنا ويكشف دواخلنا . انها علو على الذات وتحطيم لأنانيتها .

ما أسهل أن نرفض اتجاه الوجوديين الملحدين عندما يقولون ان الآخرين هم الجحيم ، ولكن ما أصعب أن ننسلخ من ذواتنا لكي نقبل الآخرين في شركة الاخوة .. والسبب في هذه المعاناه أننا لا نقبل أنفسنا ، ومن ثم فاننا أيضاً لا نقبل الآخرين ، أما أن نقبل أنفسنا فهذا شرط أساسي للتفاعل مع الإخوة ، لأنه إن قبلنا أنفسنا فهذا يعني أننا قبلنا إرادة الله وإن رفضنا شخصاً ما فهذا يعني أن في نفسي شيئاً لم أقبله بعد ، وحياة الآخر تكشفه أمامي .. وهذا هو تفسير فشل بعض الزيجات المسيحية والجماعات الكنسية .

الإخوة هي عطاء الذات وتجريدها وشفافية الحب ، وكيف يمكن تحقيقها ونحن نحيا في كثافة الانا وسجن الذات ومركبات النقص !! ليس الشخص الأناني شخص محب لنفسه بالضرورة وإنما قد يحتقر نفسه ، ولهذا السبب تراه يضمر أشد أنواع الحقد

للناس ، الرسول يأمرنا أن نقبل بعضنا كما قبلنا المسيح لمجد الاب ان سر عدم قبولنا لأنفسنا وللآخرين تلك الخيالية التى نعيشها والأوهام التى ننسجها حول شخصياتنا حتى إننا نظن أنفسنا أكثر أو أقل من الواقع الذى إرتضاه الله لها وهنا يقول الحكيم (إعرف نفسك).

إن قبلنا أنفسنا بكل ما فيها وقدمناها الرب ذبيحة يبقى يسوع مسئولا عن تجديدها وملئها وإكسابها قدرة الانفتاح للاخرين وملاقاتهم على صعيد الحب وفرح اللقيا . فالاخوة هى برهان قبولنا أبوة المسيح الصادقة وبنوتنا الأمينة له .

لقد أوصانا عندما نصلى إليه : أن نقول فى مطلع الصلاة يا أبانا . فان كان الواحد أبا لنا فنحن جميعاً أخوة وأبناء لهذا الآب . فى حياة الاخوة نصطدم بالحقيقة و بالواقع و نكتشف ذواتنا بالاحتكاك مع الآخرين ، ومن ثم إن كنت صادقا فى محبتى المسيح فانى لا أهرب من الاخوة ولا أنكمش فى عزلة قاتلة وإنما اقوم لأصحح ما فى داخلى شاكراً الرب الذى أعطانى مجالا يكشف ما فى أعماقى من فريسية واعوجاج وإنحراف .

فنعمة الإيمان هى التى تهب المسيحى القدرة على الانفتاح الداخلى وتجاوز الذات والإقتراب من الاخر ..

بين العزلة المنغلقة والعزلة المنفتحة

وإذا كان الاخر ضرورة كيانية ومجالا للحب كما هو مجال للشهادة واكتشاف الذات وصاب اهوائها وميولها الرديئة فان الذى يهرب من أخيه يعانى إنغلاقية .. انه يخاف الفشل مع أن قبول الفشل علامة على قوة الشخصية ونضجها النفسى والروحى . فالمسيحى المتضع يتعلم من فشله أكثر مما يتعلم من امجاده .. لذلك فان المسيحى الارثوذكس الحقيقى لا يعتزل الناس كراهية منهم أو ضيقاً بهم .. فالقداس الالهى الذى يحرص عليه الارثوذكسى قد علمه أن المسيحى لا يعيش منفرداً ، ففى الحياة الارثوذكسيه تنمحى الذاتيه من كل فرد وينصهر الجميع فى بوتقة واحدة هى جسد المسيح ولكل عضو عمله الخاص فى هذا الجسد .

وإذا كانت العزلة المنغلقة مرفوضة فى الحياة الارثوذكسية فان هناك نوعا من العزلة تقدرها الحياة الارثوذكسية وتعطيها اعتباراً كبيراً .. إلا وهى العزلة المنفتحة .. ويقصد بها الاعتكاف لأجل العبادة والتبتل وترك الحياة الاجتماعية للتفرغ للصلاة .. هذا نوع من الانفتاح الشديد وليس اطلاقا نوعا من الانغلاقية . فالرهبنة السليمة بذل وحب شديد وحمل لمأساة

العالم اللاهي، والتزام بكل الناس مؤمنيهم وغير المؤمنين .. الراهب ذبيحة مقدمة عن العالم كله ، دموعه مقدمة عن كل خاطىء، وأنينه توجع عن كل متألم، وصراخه لهفة عن كل ضائع في دوامة العالم الشرير .

العزلة المنغلقة بغضة للحياة والاحياء وتغرق الانسان في مستنقع من اليأس والتشاؤم ، أما العزلة المنفتحة فهي رحاب الحب والحرية الداخلية مع تصوف ونسك وصلب للذات .

* * *

المسيح الذى يملأ الكون

يقول الآب ليف جيلله أن المسيح بعد القيامة أضحى حضوره كونياً ، عاماً وشاملا من حيث المكان والشكل ، بحيث صار من الممكن أن يقترب كل إنسان فى كل مكان من جسده الممجد ..

لقد أعلن لتلاميذه قبل موته بوقت طويل أنه كان جائعاً وعطشاناً ، وكان عريانا ومريضاً ، وغريباً ومسجوناً فى أولئك الذين أطعمناهم وسقيناهم ، وكسوناهم وإعتنينا بهم وآويناهم وزرناهم ، وكذلك فى أولئك الذين إحتاجوا إلى هذه الأمور ولم نقدمها لهم « بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » مت ٢٥ : ٣٥ - ٤٠ ..

اليوم - وعلى هذه الأرض - ليس ليسوع يدان ورجلان إلا تلك التى للبشر . وإذا لم تستطع أن تصعد إلى يسوع بالصلاة إترك منزلك وإنزل إلى الشارع ، وفى الحال ستجده فى شكل العابرين أمامك . وفى هذه الأشكال تنال إمكانية اللقاء المستمر بيسوع .. فمخلصى يظهر ذاته لى فى المكتب والمتجر ، فى المخزن والاوتوبيس ، فى طابور الناس المنتظرين وفى أولئك المندفعين فى طريقهم بسرعة .

وقد إقتبس هذا الآب من ذهبى الفم قولا شهيراً له « هناك

مذبح بشرى حتى فى كل شارع ومفترق الطريق ، مقدس أكثر من المذبح الحجرى، فالثانى يقدم عليه المسيح أما الاول فهو المسيح نفسه .

وفى القداس الآلهى تعلم الإرثوذكسية جماعة المؤمنين أنهم مسئولون عن الكون كله .. وأمام القربان المقدس يصلى الكاهن والشماس والشعب لأجل جميع الناس والحكام بل ولأجل نباتات الحقل وأهوية السماء ومياه الانهار .. وتؤمن الأرثوذكسية أنه من خلال سر القربان المقدس يتقدس الكون كله .. الطبيعة والنبات وأعمال الانسان .. إن الطبيعة تشترك مع الانسان فى تقديم القربان ليصير جسداً للرب وعصير الكرمة ليصير دماً غفراناً لخطايانا .. إن الارض المأمونة هى التى تعطى فى خضوع وإستسلام كامل من نتاجها للرب خبزاً وخمراً يحولهما إلى جسد ودم أقدســـين .

فالإرثوذكسيه ترى الكنيسه نائبا عن الكون كله أمام الله وهى مسئولة عن أن تحول العالم إلى عربون الملكوت وكل أرثوذكسى مسئول أن يتلامس مع الله فى الحياة اليوميه ويشهد له فى سلوكه اليومى ويشع إشعاعه النير ليبدد ظلمات العالم ويهيء للمسيح النور الحقيقى أن يأتى ويظهر لكل أنسان فى العالم .

والمسيحى الحقيقى يستطيع أن يرى الرب يسوع فى الظروف المواتيه كما يراه فى الظروف المعاكسة .. يراه فى الوجه المبتسم

المرحب وفى الموقف الصعب القاسى . فى كل هذه معاً يستطيع أن يتعرف على مقاصد الله نحوه ويستمع إلى نداء الروح طالبا منه أن يسلك سلوكا معيناً هو بمثابة شعاع النور الذى يبدد حلوكة الظلمه ، وهو طاقة الحب الدفيئة التى تذيب الثلوج المتراكمه ..

لاشىء يمنعنى عن أن أرى المسيح فى كل موقف من مواقف المجتمع إلا كثافة الذات وظلمة النفس وإبدال الإيمان بالمنطق والشكوك والوساوس والتفسيرات البشرية .

ففى التفاعل الإجتماعى — إيمانياً — ليس هناك صدفة بل كل ما يحدث للمؤمن انما يحدث بكل حكمة وفطنة ، وبتدبير الهى مذهل ومن خلال المعاناة القاسية اليومية (التى يعتبرها الاباء فى بعض الاحيان فى مرتبة الاستشهاد) يستطيع المؤمن أن يكتسب الفضائل ويتزين بالبر وتبررات القديسين .. فمن خلال الظلم يكتسب الصبر وطول الإناة ومن خلال إستهتار الاخرين يكتسب عمق الجدية وصلابة المواقف ومن خلال عنف الرؤساء يكتسب الوداعة والإتضاع ومن خلال عدم أمانة الآخرين يتمسك بأمانته . .

وقد عبر أحد المفكرين عن ضرورة بذل المسيحى حياته لاجل الاخرين بقوله (قالت قطعه الجليد — وقد مسها أول شعاع من أشعة الشمس فى مستهل الربيع — أنا أحب وأنا أذوب أوليس فى الإمكان أن أحب وأوجد معاً : فانه لابد من الإختيار بين أمرين : وجود بدون حب وهذا هو الشتاء القارس الفظيع أوحب بدون وجود . وذلك هو الموت فى مطلع الربيع) .

الجنس الاجتماعي المسيحي

بالرغم من أن المسيحية لا تدعو إلى نوع معين من الحكم ولا تتدخل فى الأمور المدنية والسياسية لأنها تستطيع أن تحيا داخل نظم ملكية وجمهورية وتنتشر تحت سطوة الظلم والاضطهاد من الحكومات كما حدث فى القرون الثلاث الأولى ولكنها تعلم عن الطبيعة السليمة والأهداف الحقيقية للحكومات وتوضح واجبات الحكام والرؤساء وتبارك على الغاء القوانين والمؤسسات السيئة وتسر لإيجاد الصالح منها . فالمسيحية تميل وتتجه فى كل نظام نحو العدالة والانسانية والسلام والخير والنظام انها تملأ الحاكم بحاسة المسئولية إلى أعلى درجة ممكنة كما تعبىء المحكومين بروح الولاء والفضيلة والإخلاص . هى لا تتدخل فى الأنظمة والمؤسسات والهيئات الحاكمة ولكنها تغير العالم من خلال أخلاق أبنائها وروحهم وجهادهم ونضالهم البطولى .. ليس للكنيسة الأرثوذكسية أن تكون منظمة اجتماعية أو سياسية لأن هذه هى أمور قيصر وهى مطالبة أن تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. وإذا كان الفكر الكاثوليكي يوافق على الاتجاه الفاتيكانى ، فان الفكر الإرثوذكسى يحرص على

علمانية الدولة وعدم فرض وصاية دينية من الكنيسة على أية هيئة حاكمة .

ولكن الكنيسة التى تصلى من أجل الفقير واليتيم والضعيف والغريب تنحاز إلى المظلوم والعامل والفلاح وتصرخ فى وجه الأغنياء الاقطاعيين والرسماليين الاستغلاليين مرددة مع يعقوب الرسول « أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث . ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم فى الأيام الأخيرة . هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنجوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى إذنى رب الجنود . قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح » يع ٥ : ١ - ٥ .

والكنيسة التى تصلى فى أواشيها من أجل الحكام تشجع أولادها على اتخاذ مواقف ايجابية مع كل حاكم تقدمى ومع مطالب كل الشعب طالما تتجه نحو العدالة والخير والسلام فما كانت الأرثوذكسية السليمة مخدراً ولا ترضى لنفسها أن تكون تغطية لأسوأ الأنانيات وان القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية وأحد معلمى الأرثوذكسية يعتبر نفسه

يمثل بروليتارية مدينته واستخدم منبره للاحتجاج ضد المظالم الإجتماعية وكان يخاطب أغنياء عصره ، بينما كانبك متخم يهلك المسيح جوعا ، إنك تحترم هذا المذبح حينما ينزل إليه جسم المسيح ولكنك تهمل وتبقى غير مبال حينما يفنى ذاك الذى هو جسم المسيح ، ماذا ينفع تزين مائدة المسيح بأوان ذهبية إذا كان هو نفسه يموت جوعا . فأشبعه أولا حينما يكون جائعا ، وتنظر فيما بعد فى أمر تجميل مائدته بالنوافل .

أن مؤمنين كثيرين يبدون نفوراً من أية علاقة بالحياة السياسية فهم يميلون للتحدث عن مساوئ السياسة دون أن يعملوا شيئاً فى سبيل تحسين الأوضاع . من واجب كل مسيحى أن يكون له احساس مرهف بمسئوليته نحو الأحوال السياسية والوطنية .. فالمسيحى المؤمن الذى ينقل الروح المسيحية الى جميع مرافق الحياة السياسية شهادة رائعة للمسيحية الصادقة . والعالم فى هذه الأيام فى أشد الحاجة الى أتقياء لهم رصيد روحى وشجاعة أدبية ويمثلون مراكز سياسية قيادية .

إذا كان لنا أن نلخص سمات الحس الإجتماعى المسيحى فيمكننا أن نعبر عنه بالكلمات الآتية :

- حس يقاوم التعصب وينعطف نحو الحب والبذل والخدمة للجميع .

- حس يقاوم الظلم الاجتماعي وينحاز للمظلوم والفقير والمزدرى به .

- حس يأبى التساهل مع الخطية مع محبة شديدة للخطاة

- حس يقاوم السلبية ويتجه نحو التقدمية والايجابية .

قال طاغور « لا أستطيع أن أكون مسيحياً لأنني لو صرت مسيحيا لا أستطيع أن أنام » .

+ + +

معايير التعامل مع مؤسسات المجتمع وأنشطته

القاعدة الصلبة التى يرتكز عليها المسيحى فى تفاعله الخارجى وتعامله الإجتماعى هو الإلهام . لأن المسيحى له مسحة من القدوس ثابتة فيه تعلمه كل شىء وهى حق وليست كذبا (١يو ٢: ٢٧) . وقد يستشير المرشدين الروحيين حتى يتأكد أن الحق الذى فيه لم يلوث بأفعال الذات وخبثها والتواءاتها ولكن الأمر الذى لاشك فيه انه ليس هناك فتاوى أوروشتات تعطى المسيحى لتحدد له حركته الإجتماعية .. الكنيسة الارثوذكسية لها منهج معين يتلخص فى أنها تطلق حركة المؤمن الإجتماعية طالما هى متأكدة من سلامة حركته الروحية .. أن البعد الرأسى أو الصلة بين المؤمن والسماء هو الطاقة التى تشحن المؤمن بروح الحق، وأما البعد الأفقى أو الاجتماعى فانه يمتد فى حرية مجد أولاد الله دون تحكمات بشرية (أما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فى منكم أو من يوم بشر) .. الكنيسة الكاثوليكية تفرض وصايتها على أولادها فى التعامل الاجتماعى فتضع قوائم بأسماء الأفلام المصرح مشاهدتها وعروض المسرحيات التى

يسمح الكاثوليك برؤيتها ولكن الأرثوذكسية ترى أن ما يصلح لأحد قد لا يصلح للآخر، إنها تضع الحدود التي ذكرها بولس الرسول فقط :

+ كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء توافق.

+ كل الأشياء تحل لي ولكن لا يتسلط علي شيء .

+ كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء تبني .

+ ما يعثر أخي أمتنع عنه حتى لو كان أكل اللحم .. (١كو ١٠) .

ومن هذه الابعاد يمكننا أن نصور حدود حركة المسيحي الاجتماعية أنه يخاف على خلاص نفسه كما يخاف من ذاته والانسان يعتنق الساكن فيها ، يخاف على الناس ولا يخاف من الناس يحب الناس ولا يشتهيهم لنفسه ، يخدمهم ولا يتسلط عليهم، يعارضهم ولا يكرههم .. يغرس صليب المسيح بينه وبينهم ويصلب الذات التي تلوث كل علاقة روحية وانسانية ؛ اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس . (١كو ٧: ٢٣).

وعلى ذلك فان الحق وحده هو الذي يحرص على الخضوع له فمع أن الالهام يحركه دائماً فان الحق يشده الى الأمام دوماً ..

لأجل هذا لا نجد المسيحي الحقيق كريشة في مهب الرياح وإنما نجده جباراً له قيمه الأصلية وقواعده الرصينة التي يرتكز عليها مهما تغيرت الظروف وتباينت الأشخاص . .

يقول الفيلسوف المسيحي برجسون أن نوعية أخلاق المؤمن هي الأخلاق المنفتحة التي لا تخاف القوانين الصارمة والتي لا تقوم على الالزام والضرورات والحتميات وإنما هي أخلاق إنسانيه تنزع نحو العمل الصالح تجعل مثلها الأعلى المحبة والكمال مستجيبة للنداء الداخلي . .

ويقول برديايف أن هناك ثلاثة مستويات من الأخلاق .

+ أخلاق القانون التي تجعل من السلوك الخيّر مجرد إطاعة لبعض القواعد .

+ وأخلاق تضع القانون في خدمة الانسان لا الإنسان في خدمة القانون.

+ وأخلاق إبداعيه هي وليدة الحرية لا تلتزم بشكلية القواعد الأخلاقية بل تتصرف في كل الحالات بالرجوع إلى وجدان إبداعي راق ، وعنده أن الخلق المسيحي هو من النوع الثالث الذي يتسم بالإلهام والحق والابداع .

وإذا كنا نتكلم عن الخلق الابداعى الذى أشار إليه برجسون وبردياف فهذا يؤكد لنا حقيقة هى أن سلوك المسيحى إزاء التقنية والماديه فى العصر هو سلوك تقدمى غير رجعى . فالمسيحى الحقيق لا يندد بالتكنولوجيا والتقنية ولا يترحم على العصور الزراعيه الهادئة . وإنما أخلاقه المنفتحه وروح الإلهام الداخلى تعطيه القدرة التقدميه على التعامل الاجتماعى فى كل عصر ومع كل مؤسسات الحياة دون تقوقع أو تشكك أو تخلف لأن الروح والنعمة التى فيه تقدس كل شىء ، « وكل شىء طاهر للطاهرين »

انحرافات اجتماعية

١ — بين التسلط والإنقيادية

من أهم الاتجاهات الاجتماعيه السليمه القيادة والتبعيه السوية ، والمسيحى الحقيق يعرف متى يقود ومتى يتبع ، ومتى يأمر ومتى يطيع ؛ متى يتقدم الصفوف ومتى يخضع لمن هم أمامه ولهم سلطان عليه . . وقد يتعرض الإنسان فى نموه الاجتماعى إلى أحد طرفين منحرفين ، إما التسلط والتأله والعنف والرغبة فى السيطرة ؛ أو التبعية

والإنقياديه والرغبة في الخضوع الدائم لأحد القادة . . هذا وذاك نوع من سوء تقدير معرفة الإنسان لنفسه وسوء تقديره لموقفه من الآخرين . . وقد يكون لهذه الانحرافات أسباب تربوية وعائليه تمتد جذورها إلى نوع التربية في السنين الأولى والى مركز الطفل في الأسرة ؛ ونوع المعاملة التي كان يلقاها من الكبار . ولكن الأمر الذى يلزم أن نؤكده هو أن كلا النقيضين انحراف اجتماعى ؛ فالتسلط هو أستخدام الآخرين والنظرة اليهم كأشياء وليس كأشخاص لهم أحترامهم إذ هم مخلوقون على صورة الله ومثاله . إن التسلط مظهر للكبرياء والغطرسه وتأله الانسان في نفسه وإحتقار لآراء الآخرين ونهش لهم كما ينهش الذئب الحملان ، والتسلط يمنع الحوار والأخذ والعطاء ويجعل العلاقة دائماً أبداً رأسية في بعدها وتستحيل معه العلاقة الأفقيه التي تقوم على الأخوة والتفاهم وتبادل الآراء وتصحيحها من خلال الحوار والنقاش . قد يتمكن الطاغيه من الوصول إلى نتائج سريعة سواء لصالحه أو لصالح الجماعة ولكنها كالعشب الذى ييبس ويطرح في التنور ، أما الوديع الذى يتفاهم وينمى حوله روح القيادة والمسئوليه فهذا يصل إلى نتائج قوية وراسخة وإن كانت بطيئة في شكلها الخارجى . .

ولقد علمنا الرب يسوع أن نحترم إرادة ومشيئة الانسان فقد كان أسلوبه الوديع فى معاملته مع الآخرين يبرز عدم إقتحامه أى شخصية مهما كانت ، وحتى عند عمل المعجزة لصالح المريض أو الأبرص أو المقعد سنين طويلة فإنه كان حريصاً على أن يستأذنه ويسأله عن مدى موافقة إرادته للخير الذى يريد أن يقدمه . . والتسلط يخلق عبيداً والرب نفسه رفعنا من مستوى العبيد إلى مرتبة البنين الأحرار فكيف نرضى أن نجعل الناس أتباعاً يسيرون فى ركابنا ونقتل فيهم أمكانياتهم وقدراتهم الخلاقة لا لشىء سوى استغلالنا لمراكزنا فى إستعباد الآخرين لأهداف مرسومة عندنا . . يلزم لبيوتنا ومدارسنا وكنائسنا أن تشجع الناشئة على أن يطيعوا الحق وحده، ويطيعوه فى وعى وإستناره وبصيرة صادقه ، ويتدربوا على إنكار الذات ومقاومة الأنانية فى كافة صورها . ومن يعرف أن يطيع حسناً يعرف أن يقود حسناً . . إن وجود قائد روحى مستنير لقادر أن يخلق قيادات حيّه من حوله ، ومن خلال أبوّته ونكرانه لنفسه يصبح أولاده شخصيات قوية قادرة على حمل أعباء كثيرة . . وهذا ما تحتاجه الكنيسة وما يحتاجه الوطن أشد ما يكون الاحتياج .

٢ — بين السلبية والإنسياق وراء التيار :

يقع كثير من شبابنا فى إحدى الإنحرافين إما السلبية واللامبالاة وعدم الاهتمام بالحياة الاجتماعية والمواطنة والأنشطة السياسية والاقتصادية والرياضية والفنية ؛ وإما الانسياق وراء أى تيار إلى حد الابتلاع فى دوامة الحياة الصاخبة . .

والسلبية نوع من النرجسية لأنه تمركز مريض حول الذات خشية إنفتاحها وتفاعلها مع الآخرين حتى لا تنفضح أخطاءها وتكشف عيوبها وتظهر نقائصها . . فالمسئولية جراح وتمزيق للأغلفة والأقنعة الكاذبة التى تتقوقع فيها الأنا والذات المنتفخة . . يقول كوستى بندلى « من إعتنق المسيحية لم يعد بوسعه أن يهرب من العالم لأن الله زج نفسه بالتجسد فى صميم العالم ، وأصبحت البشرية كلها جسد المسيح وأصبحت آلامها آلام المسيح . ليست المسيحية أفلاطونية تتوق إلى الهروب من العالم وإنما هى ديانة الإله المتجسد ديانة الكلمة الذى صار لحماً . . المسيحىّ فى صميم أنين العالم ومخاضه يتعهده بروح المسيح ويساهم بعمله وجهاده المقرونين بالصلاة بتعجيل قدوم الملكوت المرجو حسب تعبير الرسول بطرس (٢ بط ٣ : ١٢) » .

وفى موضع آخر يقول أحد الأساقفة «لقد دفعنا ثمن إهمالنا ثمن لامبالاتنا بالمشاكل الانسانية والاجتماعية الكبرى . كثيراً ما بقينا جالسين برخاء فى مقعدنا الوثير المسيحى نخلص نفوس أقلية منتخبة وراضية عن ذاتها . . الأصوات النبوية التى كانت تصرخ فى البرية لم تكن أصواتنا ولكنها كانت أصوات أخوتنا اللاأدرين وغير المؤمنين الذين وعوا أكثر منا بكثير الجوع الذى يعانيه البشر إلى الخلاص والتحرر » .

والتطرف الآخر هو الذوبان فى مشكلات المجتمع إلى حد الضياع والارتباك بهموم النفس وهموم الآخرين والقلق والتوتر وضياع السلام الداخلى واختفاء فترات الخلوة والاعتكاف والتأمل والصلاة الطويلة والعبادة الهادئة والانشغال بالعريس السماوى . . مثل هؤلاء الضائعون فى تيار العالم الهادر المنحدر نحو الهاوية يحتاجون إلى سماع قول الرب يسوع «إن الحاجة إلى واحد» ، وإلى قوله «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» .

٣ ــ التعصبات بكافة صورها :

كما تعترض الجنادل مسار المياه وتوقف تقدمها هكذا تعطل التعصبات والتحزبات النمو الاجتماعى للمسيحى ، فالتعصب اتجاه

نفسي فيه ينعطف الانسان على ذاته ويرى فى تقوقعه طمأنينة وأمناً لنفسه ، وينشأ هذا التعصب من سوء التربية ومن الأفكار المسبقة وضغط الجماعات مثل الأقليات الدينية .

ويأخذ التعصب أشكالا وأبعاداً مختلفة فهناك التعصب الأسرى والتعصب للمدرسة أو النادى أو الشلة ؛ والتعصب للبلد أو القرية أو العشيرة أو القبيلة ؛ ثم التعصب للكنيسة أو الطائفة أو المؤسسة الدينية المحلية . وهذه التعصبات كلها إمتدادات للأنا وصور مختلفة لحقيقة واحدة وهى الذاتية والأنانية فى أبغض صورها ؛ التعصب يعمى العينين ويضيع الحق ويعيق الانفتاح ويبعد روح المسيح ويلغى الإيمان ويبطل المحبة .

المسيحى الحقيق متمسك بإيمانه الى حد الإستشهاد ومنفتح للآخرين الى حد قبول الأعداء والخطاة والمخالفين له فى كل ما يؤمن به ويعتز به .

حاجتنا الملحة فى هذه الأيام إلى تربية مسيحية نقية تحمى الناشئة من كل إنحراف وتبنى نفوسهم على طاعة الحق وترفع إشتياقاتهم نحو أورشليم السمائية وتبيهم المثابرة على الجهاد لتحويل العالم إلى عربون لملكوت المسيح .

رقم الايداع ٤٠٥٨/ ٧١

يطلب من :

مطرانية ماروي ص.ب ١٢ ماروي .